وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره من شبهه ومن دعا الله ارشده من قبل واخبر عند الله حالعل سلم
ما عظموا ولهم عليهم الحجة فان اهم انه محكم ما عظموا وملتمس الهدى من حيث ما التمسوا من الله

عن هذه النقيصه منذ ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق
انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني
من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي
ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل
بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد
رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبيا بكل ما
امكنها واختلقته مما نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي
من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهتهم وتقريعه بذمه بترك ما كان
قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجه
من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباوهم من قبل ففي
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل
وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند تحويل القبله وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله تعالى عنهم وقد استدل القاضي القشيري
على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتومنن به ولتنصرنه قال
فطهره الله في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق
النبيين بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره
من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه وكيف يكون
ذلك وقد اتاه جبريل وشق قلبه صغيرا واستخرج منه علقه وقال هذا
حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدا ولا يشبه عليك بقول ابرهيم عن الكوكب والقمر والشمس هذا
ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفوليه وابتدا النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلما والمفسرين الى انه

اما

انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام الوارد
مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على قولكم
كما قال اين شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيا من ذلك ولا اشرك
قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
ثم قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي
الا رب العلمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لين لم يهدني ربي لاكونن من
القوم الضالين قيل انه ان لم يويدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى
قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال
بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا
يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من
ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما ليس له ابتدا بمعنى الصيرورة
كما جا في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل ذلك ومثله قول الشاعر
فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل ذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك
ضالا فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوه فهداك
اليها قاله الطبري وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك
اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان صلى الله عليه وسلم
يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله تعالى الى
الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل
قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس لم تكن له ضلالة
معصيه وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا بين مكة والمدينة